



إضاءات قرآنية

إعداد

الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة

إشراف ومراجعة وتقديم

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م



المركز الإسلامي للبحوث والدراسات





إضاءات قرآنية

إشراف ومراجعة وتقديم

أ. د/ محمد مختار جمعة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد بهي الدين

الطبعة الأولى

للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٣.

ص.ب ٢٣٥ ومسيس
١١٩٤ كورنيش النيل رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه
الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن
كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة النحل، الآية ٨٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم
أنبيائه ورسوله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه
ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فالقرآن الكريم هو أصدق الحديث، وأحسنه
وأعذبه وأبلغه وأجمله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
حَدِيثًا﴾ [سورة النساء، الآية ٨٧]، ويقول ﷺ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَشَرُ مِنْهُ جُلُودُ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر، الآية ٢٣].



وهو القول الفصل وهو جبل الله المتين، والصراف المستقيم، والذكر الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيه تطهيرٌ للأرواح والأنفس، وتهذيبٌ للأخلاق، وتقويمٌ للسلوك، يقول ﷺ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٢].

وهو الذي يهجم عليك الحسن منه دفعة واحدة، فلا تدري أجاك الحسن من جهة لفظه أم من جهة معناه؟ وهو الذي لم تلبث الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآيتان ١، ٢].

وهو الذي يهدي للتي هي أقوم، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٩].

وقد صور سيدنا جعفر بن أبي طالب ﷺ حال الناس قبل أن يهذبها القرآن فقال: كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ



نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفُجُورَ حَشًّا، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجُورَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ. فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرْنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجُورَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ..^(١).

فكان حديث القرآن الكريم لهم سبباً في إيقاظ ضمائرهم، وإحياء قلوبهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص، الآية ٢٩].

ويقدم هذا الكتاب الذي أعدته الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف بإشرافنا ومراجعتنا عدداً من الموضوعات المهمة كما تحدث عنها القرآن الكريم،

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ١٧٤٠.





نسأل الله العلي العظيم أن يتقبل منّا جميعاً هذا العمل، وأن
يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

تمهيد

إن المتأمل في الشريعة الغراء يجدها تحفل بالدعوة إلى تلاوة القرآن، كما أنها أجزلت على ذلك الثواب العظيم، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [سورة المزمل، الآية ٤]، ويقول نبينا ﷺ: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(١)، ويقول ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»^(٢)، ويقول خباب بن

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، حديث رقم: ٨٠٤.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إنفاق المال في حقه، حديث رقم: ١٤٠٩، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقهه، أو غيره فعول بها وعلمها، حديث رقم: ٨١٥، واللفظ له.



الأرت ﷺ: «تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقْتَرِبَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ»^(١).

على أننا نؤكد أن قراءة القرآن ينبغي أن لا تقف عند حدود التلاوة دون فهم لمعاني القرآن ومقاصده وغاياته، وتأمل لجوانب عظمته، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية ٨٢]، وجوانب العظمة في القرآن الكريم لا تعد ولا تحصى، فالقرآن الكريم جبل الله المتين، والنور المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل، الآية ٨٩].

وإن من جوانب العظمة في القرآن الكريم قوة تأثيره في كل ما يتصل به، حيث يقول ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

(١) خلق أفعال العباد للبخاري، باب ما ذكر أهل العلم للمُعظِّلة الذين يُريدون أن يُبدلوا كلام الله ﷻ، ص: ٤٠.



الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [سورة الحشر،
الآية ٢١].

ومنها: أن الله تعالى تحدّى الإنس والجن أن يأتوا بمثله،
أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك
كله، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء، الآية
٨٨]، ويقول تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ
سُورٍ مِثْلِهِ مَفْتَرِيَّتٍ وَاَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة هود، الآية ١٣]، ويقول ﷺ:
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة يونس، الآية ٣٨]، ويقول
تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِنْ مِثْلِهِ وَاَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٣].

والمأمل في كتاب الله ﷻ يجده عامراً بالآيات الدالة على
عظمة الخالق سبحانه وبيان مظاهر قدرته، سواء في خلق



الكون أم في خلق الإنسان، فقد أودع الله ﷻ في كتابه العزيز علم كل شيء، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٣٨]، ولا يزال العلماء في عصرنا الحديث بما توفر لديهم من أدوات علمية وبحثية لم تكن متوفرة في عهد رسول الله ﷺ يؤكدون حقائق علمية وكونية أثبتها القرآن الكريم من أكثر من ألف وأربعمائة عام، ومن ذلك أن العلم الحديث قد أثبت أنه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل بين شخصين، حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها من بويضة واحدة، وهو ما يلفت القرآن الكريم الانتباه إليه في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [سورة القيامة، الآية ٤]، حيث خص الحق ﷻ البنان دون غيره بالذكر؛ كونه مميِّز الكل إنسان عن بني جنسه من جميع البشر.

فما أحوجنا إلى قراءة القرآن الكريم، وتدبر معانيه، والتأمل في جوانب عظمته، والتخلق بأخلاقه؛ حتى يتحقق بذلك صلاح القلوب، وصلاح المجتمعات.

حديث القرآن الكريم عن القيم الإيمانية والإنسانية

إنَّ المتدبر لكتاب الله تعالى المتعمق في ثنايا النصوص،
السابع في فضاء الآيات يستخرج الكثير من القيم الإيمانية
والإنسانية التي يصلح بها حال البشرية ويستقيم، حيث
يقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ
أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٩]، ويقول ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّا
لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [سورة
الشورى، الآيتان ٥٢، ٥٣].

فقد اهتمَّ القرآن الكريم ببناء شخصية الإنسان، وتقوية
الجوانب الإيمانية التي تقوم على الصدق، والأمانة والرحمة



والعدل واحترام الآخر، والإيمان بسنن الله الكونية في الاختلاف والتنوع، وإهلاك الظالمين، وتمكين الصالحين، إلى غير ذلك من القيم الإيمانية والإنسانية التي أمر بها القرآن الكريم، وعلى رأس هذه القيم التي حرص القرآن الكريم على ترسيخها في نفوس أتباعه؛ قيمة الرحمة.

فالمسلم حينما يتلو كتاب الله تعالى يبدأ تلاوته بقوله سبحانه: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فيستشعر أن رحمة الله صفة من صفات الذات العلية، بها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وبها هداية الخلق، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم.

وهي أخص صفات النبي ﷺ التي وصفه القرآن الكريم بها في العديد من آياته، فقد كان ﷺ رحمة تمشي على الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].

وقد بين الحق ﷻ أن الرحمة تؤدي إلى لين القلب، وتؤلف بين النفوس والأرواح، فقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ



حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾
[سورة آل عمران، الآية ١٥٩]، وبين القرآن الكريم
أيضاً أن المؤمن ينبغي أن يطلب رحمة الله دائماً، فقال
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾
[سورة البقرة، الآية ٢١٨]، وبين أن أبناء المجتمع لا بد
أن يتعاملوا فيما بينهم بالرحمة، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
البلد، الآية ١٧].

ومن القيم الإيمانية التي رسخها القرآن الكريم في
النفوس البشرية: قيمة الصدق، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾
[سورة التوبة، الآية ١١٩].

والصدق يكون مع الله بإخلاص الإيمان به، والطاعة
والعبادة له، ويكون مع النفس بإلزامها طريق الفلاح
والنجاح، ويكون مع الآخرين بترك غشهم، والتدليس



عليهم، وخيانتهم... إلخ، وبذلك تستقيم الحياة؛
ويتماسك المجتمع، وتقوى الروابط بين الناس،
وتنصلح العلاقات.

ولقد بينَ النبي ﷺ أن الكذب وهو نقيض الصدق
يؤدي إلى الخروج من طاعة الله، وأنه ينافي الإيمان،
وأن مصير المتخلق به النار والعياذ بالله، فقال ﷺ: «إِنَّ
الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى السِّرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ
الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي
إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ
لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١)؛ لذا كان الكذب
أبغض شيء لرسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا
كَانَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، وَمَا
جَرَّبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحَدٍ - وَإِنْ قَلَّ - فَيُخْرِجُ
لَهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يُجِدَّ لَهُ تَوْبَةً»^(٢).

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
أَتَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿ [سورة التوبة، الآية ١١٩] وَمَا يُنْهَى عَنِ الْكَذِبِ،
حديث رقم: ٦٠٩٤ واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب
وحسن الصدق، حديث رقم: ٢٦٠٧.

(٢) المستدرک للحاکم، کتاب الأحکام، حدیث رقم: ٧٠٤٤.



ولله درّ القائل^(١):

الصَّدْقُ أَوْلَى مَا بِهِ دَانَ امْرُؤٌ فَأَجْعَلُهُ دِينَا
وَدَعِ النَّفَاقَ فَمَا رَأَيْتُ مُنَافِقًا إِلَّا مَهِينَا

كما دعا القرآن الكريم إلى ترسيخ القيم الإنسانية التي لا يختلف عليها البشر مهما اختلفت عقائدهم وتباينت أفهامهم، وغاية القرآن من ترسيخ هذه القيم الإنسانية والدعوة إليها هي سعادة الفرد والجماعة من خلال تعاليمه وتشريعاته، ومن هذه القيم الإنسانية التعايش السلمي بين كافة أفراد المجتمع والوطن الواحد بغض النظر عن معتقداتهم، واختلاف ألوانهم، وأجناسهم، وثقافتهم، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة هود، الآيتان ١١٨، ١١٩].

(١) البيت المذكور لمنصور إسماعيل الفقيه، ينظر: بهجة المجالس وأنس المجالس، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، ص ١٢٦.



ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
[سورة يونس، الآية ٩٩]، فالعالم بأسره في ظل التقدم
التكنولوجي، والمعرفي الهائل أصبح قرية صغيرة لا غنى
لأهلها عن بعضهم، وبدون هذا العيش المشترك لا
تستقيم عمارة الأرض، ولا يتحقق التقدم ولا الرخاء،
وبدونه لا يأمن الناس على أرواحهم، ولا على أموالهم،
ولا على أعراضهم، وبدونه لا يستطيعون حتى التعبد
في محاربيهم.

وهذا ما رسخه القرآن الكريم في آياته، قال تعالى: ﴿لَا
يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنَقَسُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يَجِبُ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة
المتحنة، الآية ٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
[سورة البقرة، الآية ٨٣]، وتتجلى صورة التعايش السلمي
المشترك مع الآخر في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ
وَوَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾ [سورة
المائدة، الآية ٥].



ومن القيم الإنسانية التي رسخها القرآن الكريم: نبت
العنصرية، فالبشرية مردها إلى أصل واحد، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا
النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ قَرِيبًا﴾ [سورة النساء، الآية ١].

ولا فرق بين عربي وعجمي، وأحمر وأسود إلا بالتقوى، قال
تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٣].

ومن القيم الإنسانية التي رسخها القرآن الكريم:
العدل، والإنصاف للآخرين، لا فرق بين مسلم وغير
مسلم، أو غني وفقير، أو قريب وبعيد، أو حاكم ومحكوم،
أو لونٍ ولونٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
[سورة النساء، الآية ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ
أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ



بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ [سورة النساء، الآية ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ [سورة المائدة، الآية ٨]،
أي: لا يحملنكم كراهية قوم وبغضهم على عدم التعامل بالعدل معهم.

لقد دعا القرآن الكريم البشرية إلى قيم إنسانية رفيعة ليست نابعة عن هوى، أو تعصب، أو أنانية، بل هي أنوار ربانية تصل بالبشرية - إن هي تمسكت بها وجسدتها واقعًا ملموسًا - إلى أعلى درجات الإنسانية.



حديث القرآن الكريم عن القيم الأخلاقية

إن من جوانب العظمة في القرآن الكريم عنايته بالبناء الأخلاقي في حياة الأفراد والأمم من خلال منظومة من القيم والمبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي تؤسس لمجتمع مترابط، يتسم بنفوس زكية، وقلوب نقية، يتعامل أصحابها فيما بينهم بالصدق، والأمانة، والرحمة، والعدل، ويؤمن كل منهم بسنة الاختلاف بين الناس، والتعايش السلمي، واحترام الآخر، والسعي على إعمار الدنيا بالدين، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَجَعَهُ رَبُّكَ﴾ [سورة هود، الآيتان ١١٨، ١١٩]، ويقول جل شأنه: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية ٦١].



والتدبر لآيات الذكر الحكيم يدرك يقيناً أن القيم الأخلاقية التي دعا إليها القرآن الكريم ليست لوناً من ألوان الترف يمكن الاستغناء عنه، أو العمل بها في بيئة دون أخرى، بل هي مجموعة من القيم الثابتة لا تتغير بتغير الزمان، ولا تختلف باختلاف المكان، وليس أدل على ذلك من أن هذه القيم الأخلاقية كانت منهج حياة طَبَقَهُ النبي ﷺ، وحث عليها، فعندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ لم تعدد على سائلها جملة من الأخلاق المتنوعة، وإنما أحالته إلى القرآن الكريم، فعن سعد بن هشام، في قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية ٤]، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: «إِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنُ»^(١)، وفي توجيه السيدة عائشة رضي الله عنها لسائلها تأكيد على أن القرآن كله بما فيه من عقائد وشرائع وعبادات ومعاملات إنما هو في الأساس دعوة قوية إلى بناء الإنسان بناءً أخلاقياً متكاملًا، وأن الرسول ﷺ كان الأ نموذج الأمثل لهذا البناء في جميع شؤون حياته.

(١) المستدرک للحاکم، کتاب التفسیر، حدیث رقم: ٣٨٤٢.



ومن أهم هذه القيم: احترام آدمية الإنسان، وحفظ كرامته، وعدم امتهانه، فهذا أمر الله تعالى في كتابه الكريم للمؤمن أن ينزه نفسه عن كل ما يؤذي مشاعر الناس كالسخرية، والاستهزاء، وسوء الظن، حيث يقول الحق ﷻ:

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١١]، ويقول سبحانه: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَلْبَسُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٢]، فالقرآن الكريم يأمر بطهارة القلب وسلامته من كل الرذائل والأضغان، وعدم سوء الظن بالآخرين، قال ﷻ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [سورة النور، الآية ١٢].

وكذلك من القيم التي غني القرآن الكريم بترسيخها: قيمة التعاون، والتكافل والتراحم، حيث أمر القرآن الكريم المجتمع بجميع أطرافه بالتعاون على البر والتقوى،



فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢].

فالتعاون بين أفراد المجتمع عامل من عوامل قوة الدولة، وتحقيق الأمن الاجتماعي لأبنائها، فلكل إنسان متطلبات يسعى إلى تحقيقها، ويجتهد في سبيل تلبيتها، فإن ارتفعت روح التكافل في المجتمع اطمأن وهدأت نفسه تجاه هذه المتطلبات، بل سارع هو الآخر في إعلاء قيمة التكافل في المجتمع على قدر وسعه وطاقته، والله در القائل^(١):

والنَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَةٍ

بعض لبعضٍ وإن لم يشعروا خدَم

وقد وجَّه النبي ﷺ إلى قيمة التعاون في كثير من الأحاديث الشريفة، حيث قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا أَشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ نَدَّاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»^(٢)، وقال ﷺ:

(١) ديوان أبي العلاء المعري، ص ٦٢١.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، حديث رقم: ٦٠١١، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٢٥٨٦ واللفظ له.

«المُسْلِمُ أَحْوُ الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ومن هذه القيم: قيمة التفكير، وإعمال العقل، فلقد أمر الله ﷻ عباده بالتفكير في ملكوت السموات والأرض، وأثنى سبحانه على المتفكرين، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآيات ١٩٠ - ١٩١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٥]، وفتح لنا أبواب التدبر والتأمل، فقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِعِزِّ عَمَدٍ تَرْوِنَهَا﴾ [سورة الرعد، الآية ٢]، وقال ﷻ:

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَطَالِمِ وَالْغَضَبِ، بَابُ: لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمَ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ، حديث رقم: ٢٤٤٢، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٠.



﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهَا أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة القصص، الآية ٧٢]، كما أمرنا بالتفكير في النفس، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الروم، الآية ٨]، وقال جل شأنه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ * ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات، الآيات ٢٠، ٢١]، فالقرآن الكريم يفتح لنا باب التفكير في كل ما يفيد الإنسان.

وهذا التفكير عبادة فقهها الصحابة والتابعون -رضوان الله عليهم- ووظنوا إلى غايتها، يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «تَفَكَّرُوا سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ»^(١)، ويقول وهب بن منبه رضي الله عنه: «مَا طَالَتْ فِكْرَةٌ امْرِيًّا قَطُّ إِلَّا فَهَمَ، وَمَا فَهَمَ امْرُؤٌ قَطُّ إِلَّا عَلِمَ، وَمَا عَلِمَ امْرُؤٌ قَطُّ إِلَّا عَمِلَ»^(٢).

ومنها: قيمة الحوار، واحترام الآخر، فكثير من آيات القرآن تُرشد الأمة، بل ترشد الإنسانية كلها إلى أهمية الحوار

(١) شعب الإيمان، المقدمة، شعب الإيمان بالله ﷻ، بيان معاني أسماء الذات، حديث رقم: ١١٧.
(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، ١/ ٣١٣، ط دار العاصمة - الرياض.



في حياة الناس، فالحوار هو الأسلوب الذي ارتضاه الله ﷻ منهجاً للأنبياء والمرسلين في تبليغ رسالتهم للناس؛ ذلك أن الإسلام يؤمن بحرية الاعتقاد، يقول الحق ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٦]، وهذا نبي الله نوح ﷺ يخاطب قومه في موقف من مواقف حياته الدعوية الطويلة قائلاً: ﴿يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ كُفْرَهُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [سورة هود، الآية ٢٨].

وهذا نبي الله إبراهيم ﷺ يقيم الحجة على الملك الطاغية في حوار عقلاي يصوره لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَرَىٰ إِلَىٰ الذِّكْرِ الْحَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٨]، وعلى المنهج نفسه سار نبي الله موسى ﷺ في حوارهِ مع فرعون، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ * قَالَ



رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ
إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ
كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لِيِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ
الْمَسْجُونِينَ ﴿ [سورة الشعراء، الآيات ٢٣ - ٢٩].

إن في ترسيخ القرآن الكريم لقيمة الحوار دعوة للراقي
الإنساني، واحترام الآخر بغض النظر عن لونه أو دينه أو
جنسه، ونبدأ للنظرة الأحادية والعنصرية والاستعلائية،
فالقرآن الكريم قد حفظ للجنس البشري كرامته من
أجل إنسانيته، لا من أجل شيء آخر، وأقرب بوحدة أصله
مهما اختلفت الأجناس، يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ
كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿
[سورة الإسراء، الآية ٧٠]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ
اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ [سورة النساء، الآية ١].

ومن القيم الأخلاقية التي دعا إليها القرآن الكريم:
ضبط النفس، وكظم الغيظ، فمعلوم أن الإنسان في هذه



الحياة لا يسلم من أن يتعرض لبعض المواقف أو الأحداث التي من شأنها أن تُثير أو تستثير غضبه؛ والنفس الإنسانية تنفعل وتتأثر بما تسمع وترى، وقد جاءت النصوص القرآنية تدعو إلى ضبط النفس، وكظم الغيظ، وسلوك سبيل الصّبح والعفو، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان ١٣٣، ١٣٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية: ٢٢]، ويقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُوحَظٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت، الآيتان ٣٤، ٣٥]، ويقول ﷺ: ﴿مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى، الآية ٤٠].



ومن القيم الأخلاقية أيضًا: إصلاح ذات البين، فما أكثر آيات القرآن الكريم التي تأمر بالإصلاح بين الناس، وتبشّر المصلحين بالأجر العظيم، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ تَجَوُّهِمُ إِلَّا مَنَّ أَمْرٌ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية ١١٤]، ويقول سبحانه: ﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوَصِّ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٢]، ويقول جل شأنه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْنَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٢٠]، وحذر الحق سبحانه من يقومون بالإفساد بين الناس تحذيرًا شديدًا، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ * وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَحَسِبْهُمُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿ [سورة البقرة،
الآيات ٢٠٤ - ٢٠٦].

فما أحوجنا إلى التمسك بالقيم الأخلاقية التي دعا إليها
كتاب الله ﷻ، وطبقها رسولنا الكريم ﷺ، حتى نبلغ ما
بلغ أجدادنا من الحضارة والرقي والتقدم، والله در شوقي
حيث قال^(١):

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هُم ذهب أخلاقهم ذهبوا



(١) الشوقيات المجهولة، لأحمد شوقي، تحقيق الدكتور/ محمد صبري، ٧٦/١، ط دار المسيرة،
١٩٧٩م، وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، ٣/٢٧٨، ط: دار
الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

حديث القرآن الكريم عن الصدق

إن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها دعت إلى القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة التي تقرب الإنسان إلى ربه، وتسهم في بناء المجتمعات الراقية، ومنها: خلق الصدق الذي تحدث عنه القرآن الكريم في مواضع تشریف وتكريم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُقُوا لِلَّهِ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية ١١٩]، ولا أدل على ذلك من أن الله ﷻ وصف به نفسه، حيث قال: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية ١٢٢]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء، الآية ٨٧]، ويقول جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٢٢].



وقد بين القرآن الكريم أن الصدق من صفات الأنبياء والمرسلين ﷺ، فهم المبلّغون عن الله ﷻ رسالاته، حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٤١]، ويقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٥٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٥٦]، ويقول ﷻ: ﴿يُؤْتِي أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [سورة يوسف، الآية ٤٦].

وقد وصف الله تعالى نبينا ﷺ في القرآن بالصدق؛ فقد جاء به، ودعا إليه، حيث يقول ﷻ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية ٣٣]، ويقول تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات، الآية ٣٧]، وقد كان صدقه ﷻ سجية عُرف بها حتى قبل بعثته، ولذلك كان يلقب بالصادق الأمين، وقد جعل ﷻ الصدق منهج حياة.

كما جعل القرآن الكريم الصدق من صفات المؤمنين، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ



وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فِرْوَجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [سورة الأحزاب،
الآية ٣٥]، ويقول سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ
أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿
[سورة الحشر، الآية ٨]، ويقول سبحانه: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ [سورة الأحزاب، الآيتان ٢٣،
٢٤]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿ [سورة الحجرات، الآية ١٥].

إن الصدق خير كله، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ طَاعَةٌ
وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا
لَّهُمْ ﴿ [سورة محمد، الآية ٢١].

ويقول نبينا ﷺ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنْ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طَعْمَةٍ»^(١).

والصدق أحد أهم ركائز الإيمان، حتى إن بعض العلماء قد ربطوا بين الإيمان والصدق، فقالوا: الإيمان أن تقول الصدق مع ظنك أن الصدق قد يضرك، وألا تقول الكذب مع ظنك أن الكذب قد ينفعك؛ ليقينك أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

كما أن الكذب أبرز صفات المنافقين، حيث يقول ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثُمِنَ خَانَ»^(٢)، لقد جاء الصدق في القرآن الكريم شاملاً كل أعمال البر والخير، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

(١) مسند أحمد، ١١/٢٣٣، حديث رقم: ٦٦٥٢.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ٣٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم: ١٠٧.

وَأَبْنِ السَّيْلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَآتِ
 الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿

[سورة البقرة، الآية ١٧٧].

وقد وعد الله تعالى الصادقين بأعظم الجزاء، وأفضل
 الثواب، حيث يقول سبحانه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ
 الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿

[سورة المائدة، الآية ١١٩]، وجعل الحق ﷻ مرتبة
 الصّديقين بعد مرتبة النبيين، وجعلهم في صحبة الشهداء
 والصالحين في الجنة، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ
 فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
 وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿

[سورة النساء
 الآية ٦٩]، وسئل نبينا ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَمَلُ الْجَنَّةِ؟
 قَالَ: «الصَّدْقُ، وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا، وَإِذَا بَرَّ آمَنًا، وَإِذَا
 آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

(١) مسند أحمد، ٢١٦/١١، حديث رقم: ٦٦٤١.

حديث القرآن الكريم عن الحق

لقد تحدث القرآن الكريم عن الحق حديثاً وافياً؛ وذلك لما له من أثر بارز في استقامة الحياة، وضبط موازينها، ولا أدل على ذلك من أن الله تعالى سمي به نفسه، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الحج، الآية ٦]، ويقول ﷻ: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١١٦]، ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦٢]، ويقول ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور، الآية ٢٥]، ويقول جل شأنه: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [سورة يونس، الآية ٣٥]، وكان نبينا ﷺ يقوم إلى الصلاة



فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَيُنَاجِي رَبَّهُ قَائِلًا: «أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ»^(١).

وقد أتى «الحق» في القرآن الكريم معبراً عن الرسالات التي جاءت بها الرسل، حيث يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَوُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤٣]، وجاء التعبير هنا بالحق مفرداً؛ لأن مصدر الرسالات واحد، وجوهرها واحد، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٢٥].

وقد جاء نبينا ﷺ بالحق، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول جل شأنه: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات، الآية ٣٧]، ويقول تعالى: ﴿وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦٦]، ويقول

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ إلى ربها ناطرة﴾ [سورة القيامة، الآيات ٢٢، ٢٣] حديث رقم: ٧٤٤٢، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقِيَامِهِ، حديث رقم: ٧٦٩.



سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضَةَ فَمَا فَوْقَهَا فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰلسِقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦].

كما عبّر القرآن الكريم بالحق عن بعض الأمور الغيبية والأخروية، حيث يقول سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق، الآية ١٩]، ويوم القيامة حق؛ لأنه آت لا محالة، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا﴾ [سورة النبأ، الآية ٣٩]، ويقول سبحانه: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلْمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنَزَلُ مِنَ سَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الواقعة، الآيات ٨٣ - ٩٦].

ولهذا فالجنة حق، والنار حق، حيث يقول ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَأَبْنُ أُمَّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(١).

ومن أهم الحقوق في القرآن الكريم: حق المال؛ سواء أكان زكاة أم صدقة، حيث يقول الحق ﷺ: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ» [سورة المعارج، الآيتان ٢٤، ٢٥] ويقول سبحانه: «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ» [سورة الذاريات، الآية ١٩]، ويقول نبينا ﷺ: «... وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ فَهُوَ كَالْأَكْلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: «يَأْكُلُ الْكَسْبَ لَا تَعْلَافًا فِي دِينِكَ» [سورة النساء، الآية ١٧١]، حديث رقم: ٣٤٣٥، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، حديث رقم: ٤٦، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل النفقة في سبيل الله، حديث رقم: ٢٨٤٢، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تَخَوُّفُ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، حديث رقم: ١٠٥٢.



كما أن حقوق الميراث من أهم الحقوق التي أولاهها القرآن الكريم عناية خاصة، فلم يترك الله تعالى لأحد من خلقه قضية تقسيمها؛ بل سماها حدودًا، ووعد من يقيمها بالخلود في الجنة والفوز العظيم، كما توعد سبحانه من يعتدي عليها بالعذاب المهين، يقول سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [سورة النساء، الآيات ١٣، ١٤].

فما أحوجنا إلى الوعي بأهمية الحق، واتباعه، وإحقاقه، والتواصي به، والوفاء بحق الوالدين، وحق الأبناء، وحق الجوار، وسائر الحقوق، استعدادًا ليوم الحق، يوم لقاء الحق ﷺ، وهذا شأن المؤمنين الصادقين، حيث يقول سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر، الآيات ١، ٣].

* * *



حديث القرآن الكريم عن الأيام والسنين

إن المتأمل في القرآن الكريم يدرك أنه أولى الزمن عناية بالغة، مما يدل على أهميته، وضرورة اغتنامه بالأعمال الصالحة النافعة، حيث أقسم الحق ﷻ في القرآن بأوقات مختلفة، فقد أقسم سبحانه بالفجر، وأفرد له سورة سماها باسمه، فقال سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [سورة الفجر، الآيات ١-٣]، وأقسم بالضحى، وأفرد له سورة سماها باسمه، فقال: ﷻ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [سورة الضحى، الآيات ١-٣]، كما أقسم ﷻ بالعصر وأفرد له سورة باسمه، فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر، الآيات ١-٣].

وأقسم ﷻ بالصبح وبالليل وبالنهار، حيث يقول: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [سورة المدثر، الآية ٣٤]، ويقول



سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [سورة الليل،
الآيتان ١، ٢].

وقد جعل الحق سبحانه مرور الزمان والأيام والسنين آيةً
على كمال علمه وقدرته، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً
لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ
وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [سورة الإسراء، ١٢]،
فالكون يسير وفق نظام دقيق بديع لا يتخلف ولا يضطرب،
حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ
وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة
يس، الآيات ٣٨ - ٤٠].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ
سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَأَ
تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ
سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ



تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [سورة القصص، الآيات ٧١ - ٧٣].

ويقول تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿ [سورة فاطر، الآية ١٣].

ويعظم قدر الزمن وتشتد أهمية اغتنامه بما أكده القرآن العظيم من ربط أداء العبادات بأوقاتها المحددة المشروعة، حيث يقول الحق سبحانه في شأن الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [سورة النساء، الآية ١٠٣]، ويقول سبحانه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٨]، ويقول تعالى في شأن الصيام: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٥].



ويقول تعالى في شأن الزكاة: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٤١]، ويقول ﷺ في شأن الحج: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٩٧].

كما يرشدنا القرآن الكريم إلى الاعتبار بالأيام والسنين الماضية، والنظر في عواقب الأمم السابقة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة يونس، الآية ١٠٢].

ويقول ﷺ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٤٠]، ويقول تعالى: ﴿وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّتِمِ اللَّهِ إِبْتِغَاءَ فِي ذَلِكَ لَأَيَّتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٥]، يقول القرطبي في تفسيره: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَمُقَاتِلِ أَي: بَوَاقِعِ اللَّهِ فِي الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ، يُقَالُ: فَلَانٌ عَالِمٌ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ، أَيِ بَوَاقِعِهَا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يَعْنِي الْأَيَّامَ الَّتِي أَنْتَقَمَ فِيهَا مِنَ الْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ، وَكَذَلِكَ رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ قَالَ: بَلَاؤُهُ، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: وَعَظَّمَهُمْ بِمَا



سَلَفَ فِي الْأَيَّامِ الْمَأْصِيَةِ لَهُمْ، أَيِّ بِمَا كَانَ فِي أَيَّامِ اللَّهِ مِنَ النُّعْمَةِ
وَالْمِحْنَةِ»^(١).

وكما تحدث القرآن الكريم عن أيام الحياة الدنيا فإنه يذكرنا بأيام الآخرة؛ لنعمل لها أحسن العمل، ونستعد لها حق الاستعداد؛ فيألى الله سبحانه المصير، وإليه المرجع والمآب، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَسُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلاَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٤]، ويقول سبحانه: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَأَصْبَحَ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ وَبَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [سورة المعارج، الآيات ٤ - ١٠]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [سورة الحج، الآية ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ٣٤٢/٩، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



سَيِّرًا ﴿سورة الطور، الآيتان ٩، ١٠﴾، ويقول ﷺ: ﴿يَوْمَ
تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ
سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ
وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٣٠].

فما أحوجنا إلى الوعي بقيمة الزمن، والاعتبار بمرور
الأيام والسنين، ففي ذلك تذكرة وعظة، ودافع إلى الجد
والاجتهاد واغتنام الأعمار فيما ينفع النفس والعباد والبلاد،
حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
خَلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [سورة الفرقان،
الآية ٦٢]، ويقول نبينا ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ
مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).



(١) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، حديث رقم:
٢٤١٧.

حديث القرآن الكريم عن أهل الاستجابة

إن الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ حياة القلوب،
ودليل الإيمان الكامل والمحبة الصادقة، حيث يقول الحق
سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية
٢٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [سورة الشورى، الآية
٢٦]، ويقول ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ [سورة آل
عمران، الآية ٣١].

وأهل الاستجابة موفَّقون لشكر نعم الله ﷻ باستعمال
الجوارح التي وهبها الله إياهم في سماع الحق والاستجابة
له، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [سورة



الأنعام، الآية ٣٦]، كما أنهم موعودون بالمغفرة والنجاة،
والجنة يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ
اللَّهِ وَعَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ
الْأَلِيمِ﴾ [سورة الأحقاف، الآية ٣١]، ويقول ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ [سورة الرعد، الآية ١٨].

ولا شك أن حياة أصحاب نبينا ﷺ تمثل الاستجابة
الحقيقية الكاملة لله ولرسوله ﷺ، ففي حادثة تحويل القبلة
من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة كانت الاستجابة اللحظية
منهم ﷺ، حيث استداروا في الصلاة - وكانوا يصلون جهة
بيت المقدس - عندما جاءهم آتٍ يخبرهم أن رسول الله ﷺ
قد أنزل عليه الأمر باستقبال الكعبة في الصلاة^(١).

وهذا أبو طلحة ؓ يسمع قول الله ﷻ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ
حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٢]،

(١) وسياق الحديث عن أنس ؓ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، فَنَزَلَتْ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٤٤]، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلُّوا رُكْعَةً، فَنادى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، قَالُوا كَيْفَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ، صحیح مسلم، کتاب المساجد ومَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، حديث رقم: ٥٢٧.



فيتصدق ببستانه (بَيْرِ حَاءَ)^(١)، وكان أحب أمواله إليه، يرجو أجر ذلك وذُخْرَهُ عند الله تعالى ولما نزل قول الحق ﷺ في تحريم الخمر بصورة نهائية قاطعة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٩٠]، قال الصحابة ﷺ: «انْتَهَيْنَا يَا رَبِّ»^(٢).

ولا شك أنجزاء من جنس العمل، فمن استجاب لله سبحانه بفعل أو امره واجتنب نواهيه؛ استجاب الله دعاءه، حيث يقول الحق ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٦]،

(١) سياق الحديث عن أنس ﷺ: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَا لَمْ يَنْخُلْ، أَحَبُّ مَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُ حَاءَ، مُسْتَقْبَلَةُ الْمَسْجِدِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَسْرُبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٌ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِبْتُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٢]، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِبْتُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَى بَيْرِ حَاءَ، وَإِنِّي صَدَقْتُ اللَّهَ أَرْجُو بَرِّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْتُهَا حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ: «بِخٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ أَوْ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تُجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ»، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفَعَلَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَسَمَّيْتُهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَفِي بَيْتِي عَمَّهُ، صحيح البخاري، كتاب الوصايا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا وَلَمْ يُبَيِّنِ الْحُدُودَ فَهِيَ جَائِزٌ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ، حديث رقم: ٢٧٦٩.

(٢) المستدرک للحاکم، کتاب الأُشْرَبِيَّةِ، حديث رقم: ٧٢٢٤.



ويقول سبحانه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩٥]، ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، الآية ٦٠].

ولما بلغ الأنبياء عليهم السلام الغاية في الاستجابة لله ﷻ كان دعاؤهم أولى بالإجابة، يقول سبحانه في شأن نبيه نوح ﷺ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٧٦]، ويقول جل وعلا في شأن نبيه أيوب ﷺ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ * ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان ٨٣، ٨٤]، ويقول ﷻ في شأن زكريا ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَرَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ * ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا



لَهُ وَرُوحَهُ وَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَلُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿ [سورة الأنبياء، الآيات ٨٩، ٩٠]، ومن رُزِق الدعاء بصدق رُزِق الإجابة، يقول نبينا ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٌ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»^(١).

ولا شك أن الإعراض عن أمر الله ﷻ، وعدم الاستجابة له من أبرز صفات المنافقين، الذين وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَلِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ [سورة النور، الآيات ٤٨-٥٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صِلًا مُمِينًا ﴿ [سورة الأحزاب، الآية ٣٦].

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ١١١٣٣.



أما المؤمنون الصادقون فقد ذكرهم الله ﷻ في مقام المدح والثناء، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور، الآية ٥١].

فما أخرجنا إلى الاستجابة لله ورسوله، قبل أن يأتي يوم لا مفر منه ولا مرد، يقول سبحانه: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنِ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّجِيٍّ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [سورة الشورى، الآية ٤٧].



حديث القرآن الكريم عن الآيات الكونية

إن التأمل في القرآن الكريم يجده حافلاً بالآيات الكونية التي تدل على طلاقة القدرة، وكمال الحكمة، وبديع الصنعة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿صُنعَ اللهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل، الآية ٨٨]، ويقول تعالى: ﴿سَخَّرْنَاهُمْ وَأَيَّتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت، الآية ٥٣]، فالكون كله شاهد على عظمة الخالق سبحانه ووحدانيته، وإنما ينتفع بآيات الله الكونية أهل العقول الراجحة والبصائر النافذة، فيزداد إيمانهم، ويعظم يقينهم، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصَّرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ



وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ [سورة البقرة، الآيتان:
١٦٣، ١٦٤].

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ
قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿
[سورة آل عمران، الآيتان ١٩٠، ١٩١].

ومن آيات الله الكونية السماوات ذات الجمال والكمال،
حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ
كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿ [سورة ق،
الآية ٦]، ويقول سبحانه: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا
مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ ﴿ [سورة الملك، الآية
٣]، ويقول تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿
[سورة الذاريات، الآية ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا
السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿ [سورة
الأنبياء، الآية ٣٢].

وما زين الله تعالى به السماء، تلك الشمس التي جعلها
الله سرًا وهاجًا، تدفئ الأجواء والبحار، وتسير بانتظام



بديع، والقمر الذي جعله الله ضياءً منيراً، وقدره منازل
لنعلم عدد السنين والحساب، يقول الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
تُذْرَكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
[سورة يس، الآيات ٣٨ - ٤٠].

وجعل فيها سبحانه نجومًا لنهتدي بها في الظلمات،
يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا
فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
[سورة الأنعام، الآية ٩٧].

والتأمل في خلق الأرض وما فيها من آيات الله يدرك
تمام قدرته سبحانه وحكمته، حيث جعلها سبحانه قرارًا لا
تميل ولا تضطرب، ومهددها لخلقها، وسلك لهم فيها سبلاً،
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها،
وجعلها ذلولاً ليمشي الناس في مناكبها ويأكلوا من رزقه
سبحانه، كما أنشأ فيها سبحانه البساتين، وصنوف الطعام
المختلفة التي تُسقى بماء واحد، حيث يقول سبحانه: ﴿هُوَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ



رَزَقَهُ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿ [سورة الملك، الآية ١٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَعَلَتْ مِنْ أَغْنَبٍ وَرِزْقٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ [سورة الرعد، الآيتان ٣، ٤].

ويقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ [سورة فصلت، الآية ٣٩]، ويقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿ [سورة الحج، الآية ٥].



وقد أكد العلم الحديث كل ما جاء في النصوص
الكريمة من اهتزاز جزيئات حبيبات التربة عند نزول الماء
عليها، فمن الذي أعلم سيدنا محمداً ﷺ ذلك قبل أكثر من
ألف وأربعمائة عام؟ إنه رب العالمين ولا أحد سواه.

ولا شك أن الآيات الكونية الدالة على بديع صنع الله ﷻ
في خلق الإنسان مما يدل على وجود الخالق سبحانه وقدرته،
حيث يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
[سورة التين، الآية ٤]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ
عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ
اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيات ١٢-١٤]،
ويقول ﷻ: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِيَ بَنَانَهُ﴾ [سورة القيامة،
الآية ٤]، وخص البنان دون سواه؛ لأن في تكوين البنان
وبصمة الإصبع آية من آيات الله ﷻ في الخلق، في عدم تماثل
تكوين البنان بين أي شخصين منذ أن خلق الله سبحانه
الأرض ومن عليها إلى أن تقوم الساعة.

* * *

حديث القرآن الكريم عن السنن الكونية

إن الله ﷻ أقام الكون على سنن وقوانين ثابتة، لا تتغير ولا تتبدل. والمتأمل في القرآن الكريم يجده حافلاً بالحديث عن سنن الله الكونية وقوانينه الأزلية التي تضبط حركة المخلوقات في تكامل وانسجام، دون خلل أو اضطراب، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر، الآية ٤٣].

وتتميز سنن الله الكونية بالعموم والشمول؛ فهي تنطبق على الجميع، دون تمييز أو استثناء، فقد جعل الحق ﷻ الجزاء من جنس العمل، حيث يقول سبحانه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [سورة النساء، الآيتان ١٢٣، ١٢٤]،



ويقول سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٥٢].

ويقول نبينا ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(١)، ويقول ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيَنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»^(٢).

ومن سنن الله الكونية: سنة التداول في الغنى والفقير، فلا الفقر يدوم ولا الغنى، فغنيُّ اليوم قد يكون فقير الغد، وفقير اليوم قد يكون غنيَّ الغد، حيث يقول سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٤٠].

وعلى الغني أن يشكر، وعلى الفقير أن يعمل ويكد ويجتهد ويعرق ويتعب ليغيِّر واقعه وحاله، وحال المؤمن في كلا الأمرين على ثبات، حيث يقول نبينا ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ

(١) صحيح مسلم، كتاب الذُّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذُّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.
(٢) صحيح مسلم، كتابُ الْمَسَاقَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِنْطَارِ الْمُعْسِرِ، حديث رقم: ١٥٦٣.

المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاءٌ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر، فكان خيراً له»^(١).

ومن هذه السنن: الامتحان والابتلاء والاختيار والاصطفاء، حيث يقول الحق ﷺ في الحديث عن سنة الابتلاء: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٢، ٣].

ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٤٢]، ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَآسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَرَزُلُوا عَنْ رُسُلِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢١٤].

(١) صحيح مسلم، كتاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، حديث رقم: ٢٩٩٩.



أما الاصطفاء فالله ﷻ أعلم بمن يصطفي؟ ولم يصطفي؟ ومتى يصطفي؟ حيث يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحج، الآية ٧٥]، ويقول تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة، الآية ٥٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ * نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْحَاتًا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآيتان ٣١، ٣٢].

ويقول الله تعالى في قصة سيدنا موسى ﷺ متحدثاً عن رحلته مع فتاه للقاء العبد الصالح: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [سورة الكهف، الآيتان ٦٥، ٦٦].



فلا تحارب أحدًا في شيء من الله به عليه، فلن توقفه، ولن يوقفك أحد عن أمر أراده الله لك، ولن يحول أحد بينك وبين خير أراد الله أن يسوقه إليك، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢]، ويقول نبينا ﷺ: «.. وَاعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

ومن سنن الله تعالى الكونية إجراء المسببات على الأسباب، بغض النظر عن الدين والجنس واللون والعرق، فمن يزرع يحصد، ومن يجتهد ينجح، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف، الآية ٣٠].

(١) سنن الترمذي، أبواب صفوة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفوة أواني الخوض، باب منه، حديث رقم: ٢٥١٦.



ومن سنن الله الكونية أن من أتبع هدى الله تعالى،
وسار في طريق رضاه أكرمه سبحانه بطيب العيش في الدنيا،
وبالجنة في الآخرة، كما اقتضت سنة الله تعالى في المُعْرِض
عن هداه عقابه بالمعيشة الضنك في الدنيا، والعذاب في
الآخرة؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٨]،
ويقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية
٩٧]، ويقول سبحانه: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيٰتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذٰلِكَ
الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾ [سورة طه، الآيات ١٢٣-١٢٦].



حديث القرآن الكريم عن أهل الإيمان

إن الإيمان من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمَنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٧]، وهو سبيل الوصول إلى الحياة الآمنة المطمئنة، والفلاح والأجر العظيم، يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية ٩٧]، ويقول ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٧٧].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة البروج، الآية ١١].



والم تأمل في القرآن الكريم يجد أن الله ﷻ قد تحدث عن أهل الإيمان بالعديد من الصفات في كتابه العزيز، منها: المحافظة على أداء الصلوات في وقتها، وإتمام أركانها، والخشوع فيها، حيث يقول سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان ١، ٢]، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٩].

ومنها: الإعراض عن اللغو، سواء أكان قولاً أم فعلاً، حيث يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٣]، فالمؤمنون مترفعون عن سفاسف الأمور، مهتمون بمعاليها، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة القصص، الآية ٥٥]، ويقول أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٧٢]، ويقول نبينا ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»^(١).

(١) سنن الترمذي، أبواب الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ فِيمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُضْحِكُ بِهَا النَّاسَ، بَابُ مِنْهُ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٣١٧.



ومنها: الإنفاق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،
حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾
[سورة المؤمنون، الآية ٤]، ويقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
[سورة التوبة، الآية ٧١].

ومنها: أنهم أهل عفة وورع، حيث يقول ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ
هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفْظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان
٥، ٦]، وكان نبينا ﷺ يسأل ربه ﷻ في دعائه العفاف،
حيث يقول ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف
والغنى»^(١)، ويقول محمد بن الحنفية رحمه الله: «الكمال في
ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن
التدبير في المعيشة»^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ
وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ، حديث رقم: ٢٧٢١.
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص: ٣٢٩.



ومنها: حفظ الأمانة، والوفاء بالعهد، فالمؤمن الحقيقي دائماً ما يتعهد أمانته كما يتعهد الفلاح زراعته، والعامل صناعته، فالإيمان والوفاء بالعهد مرتبطان، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٨]، ويقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [سورة المائدة، الآية ١]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء، الآية ٥٨]، وقد ربط نبينا ﷺ بين الأمانة والإيمان، فعن أنس رضي الله عنه، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»^(١).

ومن صفات المؤمنين في القرآن الكريم: أن قلوبهم مطمئنة بذكر الله ﷻ، ومحسنون التوكل عليه سبحانه، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ١٢٣٨٣.



يَتَوَكَّلُونَ ﴿ [سورة الأنفال، الآية ٢]، والتوكل الحقيقي هو: «صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ ﷻ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: التَّوَكُّلُ جَمَاعُ الْإِيمَانِ»^(١).

ولا يكتمل التوكل إلا بالأخذ بأسباب العمل والاجتهاد، حيث يقول نبينا ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو حِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٢).

والإيمان الحقيقي يمتد أثره إلى المجتمع، فالمؤمن الحقيقي لا يكون غشاشًا، ولا كذابًا، ولا خائنًا للعهد، الإيمان الحقيقي يهذب نفس صاحبه، المؤمن الحقيقي حيي كريم، يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [سورة البلد، الآية ١٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر، الآيات ١-٣].

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ٢ / ٤٩٧.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ، حديث رقم: ٤١٦٤.



ويقول نبينا ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

فما أجمل أن نتحلّى بتعاليم الإيمان، حتى يتحقق لنا الأمن والاستقرار، والطمأنينة، والسعادة في الدنيا والآخرة، حيث يقول سبحانه في جزاء المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان ١٠، ١١]، ويقول تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة التين، الآية ٦]، ويقول ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [سورة الكهف، الآيتان ١٠٧، ١٠٨]، فاللهم حبِّبِ إلينا الإيمان وزينّه في قلوبنا.



(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه، حديث رقم: ٦١٣٦، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الحث وتكون ذلك كله من الإيمان، حديث رقم: ٧٥.

حديث القرآن الكريم عن أهل الغفلة

إن الغفلة داءٌ عُضال يُنسي الإنسان المهمة التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله سبحانه وإعمار الأرض، يقول الحق سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات، الآية ٥٦]، ويقول ﷺ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية ٦١]؛ لذلك حذر الحق سبحانه بني الإنسان من الغفلة منذ أن كانوا في عالم الدر، يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٧٢]، وقد حذر الحق سبحانه من الغفلة والغافلين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف، الآية ٢٨]، وقال ﷺ: ﴿وَيَوْمَ يَعِصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ



لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿﴾ [سورة الفرقان، الآيات ٢٧ - ٢٩].

وأهل الغفلة لا ينتفعون بالجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية والعلم والفهم، فقلوبهم لا تعي الحق، وعيونهم لا تبصر آيات ربه المنظورة والمسطورة، وأذانهم لا تسمع ما ينفع من أمور الدين والدنيا، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلَنَعْمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقِلُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٧٩].

ويقول سبحانه: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٤٦]، ويقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ



وَأَبْصَرِهِمْ^ط وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿ [سورة النحل،
الآية ١٠٨].

وقد توعد سبحانه الغافلين في الآخرة بالمصير
الأييم، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا
غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿
[سورة يونس، الآيتان ٧، ٨].

ويقول تعالى: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ
فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ [سورة مريم، الآية ٣٩]، ويقول
سبحانه: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿ [سورة الأنبياء، الآية ٩٧].

أما علاج الغفلة فيكون بذكر الله تعالى، وقراءة القرآن،
والإكثار من عمل الصالحات؛ فبذلك تزول الغفلة، وتحيا
القلوب، وترتقى الأرواح، يقول سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿ [سورة الأعراف، الآية



٢٠٥]، ويقول تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْقَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٨٢]، ويقول
نبينا ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(١).

والمؤمن الحق إذا أصابته غفلة سارع إلى التوبة واليقظة،
يقول الحق ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف،
الآية ٢٠١]، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً
أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن
يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ
تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَمَلِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان ١٣٥، ١٣٦].

فعلى العاقل أن يتيقظ لما يجب عليه من أمور دينه ودنياه،
لئلا يأتيه عقاب الله بغتة من غير استعداد، فيندم ويتحسر،
يقول الحق سبحانه: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ
إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ

(١) سنن أبي داود، أبواب شهر رمضان، باب تحزيب القرآن، حديث رقم: ١٣٩٨.



يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿ [سورة
الأنعام، الآية ٣١]، ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا
بِهِ فَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
أَخَذْنَاهُمْ بِغَتَّةٍ فَأَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿ [سورة الأنعام، الآية ٤٤].

ويقول سبحانه: ﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ [سورة يوسف،
الآية ١٠٧]، ويقول تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ
رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ *
أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَلْحَسِرَنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن
كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [سورة الزمر، الآيات ٥٥ - ٥٨].



حديث القرآن الكريم عن ذوي الأرحام

إن المتأمل في القرآن الكريم يدرك أن صلة الرحم من أوجب الواجبات، وأكد الطاعات، يقول سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [سورة النساء، الآية ٣٦]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [سورة النساء، الآية ٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة، الآية ٨٣].

ويقول نبينا ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ»^(١).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، حديث =



ويكفي الرحمَ شرفاً أن الحق سبحانه شقَّ لها اسماً من
أسمائه، ووعدها بأن يصلَ مَنْ وصلها، ويقطعَ من قطعها،
يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخُلُقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ
الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا
تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ:
بَلَى، قَالَ: فَذَاكَ لِكِ»^(١).

وقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة على حقوق
ذوي الأرحام تأكيداً بالغاً، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَوَاتِ ذَا
الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٢٦]، ويقول سبحانه:
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾
[سورة النحل، الآية ٩٠]، فالنفقة على المحتاج من ذوي
الأرحام من أولى الحقوق، وثوابها مضاعف، يقول عليه
الصلاة والسلام: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي

رقم: ٦١٣٨، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكترام الجار
والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، حديث رقم: ٧٤.
(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللَّهُ، حديث رقم:
٥٩٨٧، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها،
حديث رقم: ٢٥٥٤، واللفظ له.



الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صدقةٌ وصِلَةٌ»^(١) والرحم شهادة يوم القيامة للإنسان إن وصلها، وشهادة عليه إن قطعها، يقول ﷺ: «وَكُلُّ رَحِمٍ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبِهَا تَشْهَدُ لَهُ بِصِلَةٍ إِنْ كَانَ وَصَلَهَا، وَعَلَيْهِ بِقَطِيعَةٍ إِنْ كَانَ قَطَعَهَا»^(٢).

ولصلة الرحم فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة، منها: الزيادة في الرزق، والبركة في العمر، حيث يقول نبينا ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٣)، ويقول ﷺ: «صلةُ الرحم، وحسنُ الخلق، وحسنُ الجوار، يعمرنُ الديارَ، ويزدنُ في الأعمار»^(٤).

ومنها: دخول الجنة، يقول ﷺ: «أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام»^(٥)، ويقول ﷺ: «لرجل

(١) سنن الترمذي، أبواب الرِّكَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الْقَرَابَةِ، حديث رقم: ٦٥٨.

(٢) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ تَعَلَّمُوا مِنْ أَسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، حديث رقم: ٧٣.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ مَنْ أَحَبَّ الْبَسْطَ فِي الرِّزْقِ، حديث رقم: ٢٠٦٧، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، حديث رقم: ٢٥٥٧.

(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، ص: ١٠٣، حديث رقم: ٣٢٩.

(٥) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ، حديث رقم: ٣٢٥١.



سأله عن عَمَلٍ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»^(١).

ولا شك أن الوحيين الشريفين كما بينا فضل صلة الرحم وحقوق ذوي الأرحام؛ فقد أكدَّا على التحذير من قطيعة الرحم تأكيداً شديداً، حيث يقول سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [سورة محمد، الآيتان ٢٢، ٢٣].

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد، الآية ٢٥]، ويقول نبينا ﷺ في بيان عقوبة قاطع الرحم: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ: الْبَغْيِ وَقَطِيْعَةِ الرَّحِمِ»^(٢)، فما

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم: ١٣٩٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بها أمر به دخل الجنة، حديث رقم: ١٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، حديث رقم: ٤٩٠٢.



أحوجنا إلى تعميق الروابط الإنسانية بصلة الأرحام؛ ففي
ذلك كمال الإيمان، ورضا الرحمن، واستقرار المجتمعات،
وارتقاء الأوطان.



حديث القرآن عن الفساد في الأرض

لقد أمر القرآن الكريم بكل خير وإصلاح، ونهى عن كل شر وإفساد، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٦]، كما بين سبحانه أنه لا يجب الفساد ولا المفسدين، يقول ﷺ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٠٥]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٧٧].

ويقول نبينا ﷺ: «فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ، وَأَطَاعَ الْإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ - أي: من كريم ماله - وَيَأْسَرَ الشَّرِيكَ - أي: كان سمحاً هيناً - وَاجْتَنَبَ الْفُسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ»... (١).

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في من يغزو ويتوسم الدنيا، حديث رقم: ٢٥١٥.



وإن التأمّل في القرآن الكريم يجد أنه قد أولى الحديث عن بغاة الفتنة، والمفسدين في الأرض عناية خاصة؛ وذلك لبيان ضلالهم، وإظهار خطرهم على الأديان والأوطان، فقد أخبرنا ﷺ أن الأنبياء وأهل الفضل في كل زمان ومكان ينهون عن الفساد، ويحذرون من المفسدين، يقول تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٤٢]،

ويقول سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة هود، الآية ١١٦].

وقد بيّن لنا الحق سبحانه صفات المفسدين والبغاة، ومنها: الكذب، والتدليس، وأدعاء الصلاح، والإصلاح، حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿ [سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤، ٢٠٥]،

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا



يَسْعُرُونَ ﴿ [سورة البقرة، الآية ١١، ١٢]، ويقول تعالى:
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ أَنْهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [سورة الكهف، الآية
١٠٣، ١٠٤].

ومنها: الإرجاف في الأوطان، ونشر الشائعات،
وبث الفتنة والوهن بين الناس عن طريق وسائل الإعلام
الموجهة، ووسائل الاتصال الحديثة، يقول جل شأنه: ﴿ لَئِنْ
لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ
فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾
[سورة الأحزاب، الآية ٦٠]، ويقول تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا
فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾
[سورة التوبة، الآية ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ
الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ١٨].

ومنها: التواصل مع الأعداء، والتحالف معهم على
حساب الدين والوطن، والفرح إذا ألمَّ بأبناء الوطن شرًّا، أو



تَفْسَى فِيهِمْ مَرَضٌ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيَبِطُ إِذٍ أَنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَاهِدِينَ﴾ [سورة النساء، الآية ٧٢، ٧٣]، ويقول تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَابَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٢٠].

وذلك الفساد الظاهر والحقد البين نابع من فساد القلوب، حيث يقول نبينا ﷺ: «..أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

إن مواجهة الفساد أحد أهم دعائم الحكم الرشيد؛ فالمفسدون، والبعثاء، والمعوقون لمسيرة الخير والإصلاح

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبصر لدينه، حديث رقم: ٥٢، وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: ١٥٩٩.



مِعْوَل هَدْمٍ لِّلْمَجْتَمَعِ، وَلَا بَدَّ مِنَ التَّصْدِي لِهِمْ بِكُلِّ حَزْمٍ
وَقُوَّةٍ، فَهَمَّ شَرَارُ الْخَلْقِ، حَيْثُ يَقُولُ نَبِينَا ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ
بِشَرَارِكُمْ؟ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ،
الْبَاغُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَنْتِ»^(١).

وقد بيّن القرآن الكريم جزاء بغاة الفتنة والمفسدين في
الدنيا، ومصيرهم في الآخرة، حيث يقول ﷺ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ
الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة، الآية ٣٣]،
ويقول ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد، الآية
٢٥]، ألا لا يظننَّ باغٍ أو مفسدٌ أنه إن نجا أو أفلت من
حساب الناس فإنه سيفلت من حساب الخالق ﷻ.

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٧٥٩٩.

حديث القرآن الكريم عن أسماء يوم القيامة

لقد تحدث القرآن الكريم عن يوم القيامة وأحوال الناس فيه حديثاً كاشفاً لطبيعته، مفصلاً لكثير من أحداثه وأسمائه، فهو يوم البعث، ويوم النشور، ويوم الحساب، ويوم الفصل، ويوم الدين، ويوم التلاق، ويوم الحسرة، ويوم الوعيد، ويوم الخروج، ويوم التغابن، ويوم الجمع، ويوم التناد، ويوم الآزفة، ويوم الخلود، واليوم الحق، واليوم الموعود، واليوم المشهود، والنبأ العظيم.

ولا شك أن تعدد أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم يدل على عظم شأنه؛ ووجوب الاستعداد له، وقد تحدث القرآن الكريم عن بعض أسماء القيامة، وأبرزها وأكثرها ذكراً في القرآن الكريم هو لفظ «القيامة»، فقد ورد في الكتاب العزيز (٧٠) مرة، وسُميت باسمه إحدى سورته المشرفة، التي استهلها الحق سبحانه بقوله: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة القيامة، الآية ١]، تعظيماً لشأنها، ويقول



سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء، الآية ٨٧]، ويقول ﷺ: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١١٣].

ويوم القيامة هو يوم الحساب، ويوم الجزاء، ويوم العرض عليه سبحانه، إذ يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مُجْدُوزٍ﴾ [سورة هود، الآيات ١٠٤ - ١٠٨].

ويوم القيامة هو اليوم الحق، إذ يقول الحق سبحانه: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا﴾ [سورة النبأ، الآية ٣٩]، والعاقل من يعمل لهذا اليوم حق العمل، ويتقي الله حق تقاته، إذ يقول الحق سبحانه: ﴿يَتَأَيَّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [سورة آل عمران، الآية ١٠٢].

وكما تحدث القرآن الكريم عن القيامة تحدث عن الساعة التي غالبًا ما يأتي الحديث عنها في سياق بدء أحداث القيامة، قاصرًا علمها على الله ﷻ وحده، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٧]. ويقول تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [سورة فصلت، الآية ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة لقمان، الآية ٣٤].

وعندما سئل سيدنا رسول الله ﷺ عن الساعة أجاب ﷺ بقوله: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»^(١)، وبهذا حسم نبينا ﷺ قضية الإفتاء أو الفتوى أو الفتيا في أمر الساعة أو

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالْإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، حَدِيثِ رَقْمٍ: ٥٠، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الْإِيمَانِ مَا هُوَ وَبَيَانَ خِصَالِهِ، حَدِيثِ رَقْمٍ: ٩.



محاولة التنبؤ بها، فإذا كان رسولنا الكريم ﷺ يقول: «مَا الْمُسْتَوَّلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، فمن ذا الذي يتجرأ على الله ﷻ بالخوض في أمرٍ توقَّفَ رسول الله ﷺ عن الحديث فيه!.

إن السؤال الذي ينبغي أن نسأله جميعاً لأنفسنا: ماذا أعدنا لذلك اليوم العظيم؟ فقد سأل رجلُ النبي ﷺ: «مَتَى السَّاعَةُ؟» فقال له ﷺ: «مَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟»، قَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»^(١).

فعلينا أن ننشغل بإعداد أنفسنا للقاء الله ﷻ بإتقان العمل، والقيام بالرسالة والأمانة التي كلفنا الله ﷻ بها، فقد جاء عن الفضيل ابن عياض أنه سأل رجلاً: «كم عمرك؟» فقال الرجل: ستون سنة، قال الفضيل: إذا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله تُوشِكُ أَنْ تَصِلَ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: يا أخي، هل عرفتَ معناه، قال الرجل: نعم، عرفتُ أيُّ الله عبد، وأني إليه راجع، فقال

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، بابُ مساجاةٍ في قولِ الرَّجُلِ وَيَلِكُ، حديث رقم: ٦١٦٧، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بابُ المرءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، حديث رقم: ٢٦٣٩.



الفضيل: يا أخي، مَنْ عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع، عرف أنه موقوف بين يديه، وَمَنْ عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول، وَمَنْ عرف أنه مسئول فليُعدَّ للسؤال جواباً، فبكى الرجل، فقال: يا فضيل، وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة، قال الرجل: وما هي يرحمك الله؟ قال الفضيل: أن تتقي الله فيما بقي، يَغْفِرَ اللهُ لكَ ما قد مضى وما قد بقي^(١).

فحري بنا أن نسارع إلى فعل الخيرات النافعة للنفس والعباد والبلاد، حتى نجد ثواب ذلك يوم القيامة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [سورة الكهف، الآية ٤٩]، ويقول ﷺ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ * [سورة الزلزلة، الآيتان ٧، ٨].



(١) لطائف المعارف لابن رجب، ص ٣٠٣، ط: دار ابن حزم للطبع والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

حديث القرآن الكريم عن مصر

لقد اقتضت حكمة الله ﷻ تفضيل بعض الأماكن والبلدان على بعض، ومن الأماكن والبلاد التي من الله عليها بمزيد فضلٍ وتكريمٍ مصر العزيزة.

فهي الأرض الطيبة، أرض الأنبياء والعلماء، والأولياء والشهداء، أرضٌ شهد لها ربنا ﷻ في كتابه الكريم بالكرم وعِظَمِ المنزلة، وعُلوِّ المكانة، وخلد اسمها في القرآن الكريم، فذكرت صراحة في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس، الآية ٨٧]، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ



لَا يَعْمُونَ ﴿ [سورة يوسف، الآية ٢١]، وقوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا
دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ
اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [سورة يوسف، الآية ٩٩]، ومنها قوله تعالى
على لسان فرعون: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ
لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
[سورة الزخرف، الآية ٥١].

كما تحدث القرآن الكريم عن سيناء وطورها في مواضع
عدة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ
سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصِغَ لِأَلْكَالِينِ ﴾ [سورة المؤمنون، الآية
٢٠]، وقوله: ﴿ وَادَّكُرُ فِي الْكِتَابِ مِثْلُ نَارِهِ إِذْ كَانَتْ مِخْلَبًا وَكَانَ
رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَدَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا *
[سورة مريم، الآيتان ٥١، ٥٢]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا
نُودِيَ مِن شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ
الشَّجَرَةِ أَن يَمْسُكْ إِيَّتِي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
[سورة القصص، الآية: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَالنِّينِ
وَالزَّنَبُونَ * وَطُورِ سَيْنِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [سورة التين،
الآيات ١ - ٣]، وغير ذلك من الآيات القرآنية المتعددة
التي أشار الله ﷻ فيها إلى مصر.



وأما عن مكانة مصر في السنة النبوية الشريفة؛ فقد ذكرها النبي ﷺ في كثير من أحاديثه، منها قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ هُمْ ذِمَّةٌ وَرَحِمًا، أَوْ قَالَ: ذِمَّةٌ وَصِهْرًا»^(١)، والرحم هنا هي أمناها جر زوج أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، وأم نبي الله إسماعيل ﷺ، أما الصهر فهي السيدة مارية القبطية التي أهداها المقوقس حاكم مصر إلى رسول الله ﷺ، وأنجبت له ابنه إبراهيم الذي سماه على اسم الخليل إبراهيم عليه السلام.

فهي وصية نبوية للأمة كلها، يخاطب بها ﷺ أصحاب العقول أن يحسنوا إلى مصر، وأن يعرفوا قدرها، وأن يحسنوا إلى أهلها، وأن يكرمواهم دون من عليهم، فقد اختص الله ﷺ مصر بخصائص كثيرة، فعلى أرضها المباركة تجلى الحق ﷻ، حيث قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وَ

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (رضي الله تعالى عنهم)، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، حديث رقم: ٢٥٤٣.



فَسَوْفَ تَرِنِّيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ
مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [سورة الأعراف، الآية ١٤٣].

وقد عاش على أرضها سيدنا إدريس عليه السلام، وكان
وجوده في مدينة (إدفو) بصعيد مصر، والذي علم الناس
علوم المدنية والتمدن منذ فجر الإنسانية، كذلك زارها
الخليل إبراهيم ﷺ وتزوج منها بهاجر أم سيدنا إسماعيل ﷺ،
ودخلها نبي الله يعقوب وأبناؤه ﷺ، كما تولى سيدنا يوسف ﷺ
خزائنها، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف، الآية ٥٥]، وعلى أرضها
عاش موسى وأخوه هارون ﷺ، وبالوادي المقدس كلم الله
موسى ﷺ تكليماً.

وكان بها من الصّديقين والصّديقات كثير، منهم:
مؤمن آل فرعون الذي ذكره الله ﷻ في القرآن في مواضع
كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ
وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا



يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿ [سورة غافر، الآية ٢٨]،
وَأَسِيَّةُ امْرَأَةٍ فِرْعَوْنَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهَا: ﴿وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ
لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي
مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ [سورة التحريم، الآية ١١]،
وما شطت بنت فرعون، وقدمت إليها الصديقة مريم عليها السلام
مع ابنها نبي الله عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ
وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿ [سورة
المؤمنون، الآية ٥٠].

لذلك كان الكثير من العلماء والعباد يثنون على مصر
ويتمنون الإقامة بها، فعن كعب الأحبار قال: «مصر بلد
معافة من الفتن، من أرادها بسوء كبه الله على وجهه»^(١).

جدير بالذكر أننا إذا ذكرنا مصر ذكرنا الكعبة المشرفة،
فإن الفاروق عمر رضي الله عنه قد أرسل إلى عامله بمصر أن يصنع
كسوة للكعبة المشرفة، فصنعت الكسوة من عهد الفاروق
عمر رضي الله عنه وظلت هكذا تصنع بمصر أكثر من ألف عام.

(١) فيض القدير للمناوي، ٦ / ٩٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.



إذا ذُكرت مصر ذُكر الأزهر الشريف، حصن الإسلام
الوسطي بسماحته واعتداله، وعلى أرضها عاش علماء كثيرون
نشروا العلم في ربوع الأرض حتى في الأرض التي نزل بها
الإسلام وتنزل الوحي بين جنابها، منهم: الإمام الليث بن
سعد، والإمام الشافعي، والعزُّ بن عبد السلام، وابن حجر
العسقلاني، والشَّاطبي، والسيوطي، وغيرهم كثير.

إذا ذُكرت مصر ذُكر نيلها المبارك الذي هو أحد أنهار
الجنة، حيث قال ﷺ: «رُفِعَتْ إِلَيَّ السُّدْرَةُ فَإِذَا أَرْبَعَةٌ
أَنْهَارٌ: نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، فَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النَّيْلُ
وَالْفَرَاتُ، وَأَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ»^(١)، كما أنه لم يشر
إلى نهر في القرآن الكريم كما أشير إلى نهر النيل، فقال تعالى:
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ
فَكَأَلِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ
وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٧]،
وقد قيل: إن المراد باليَمِّ: نهر النيل.

إذا ذُكرت مصر ذُكر حُبُّها لأصحاب رسول الله ﷺ،
وُنُصِرَتْهَا لآل بيته ﷺ، وكانت ولا تزال وستظل هذه

(١) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب شُرْبِ اللَّبَنِ، حديث رقم: ٥٦١٠.



الدعوات المباركات حصناً وملاذاً لكل المصريين ببركة
حبهم لآل بيت الرسول الكريم ﷺ، وصحابته الكرام
وتابعيهم وتابعي التابعين إلى يوم الحشر والزحام.

بلدٌ بهذه المنزلة ولها من المكانة ما لها يجبُ على جميع
أبنائها وأحبائها الحفاظ على أمنها وإيمانها، وسلامتها من
كلِّ مخربٍ ومفسدٍ وأصحاب الدعوات الهدامة، خاصة في
هذه الظروف الصعبة، فالحفاظ على أمن مصر من دعوات
الفوضى ورياح التخريب من أهم المهتمات، ولنعلم جميعاً أن
لبلدنا حقوقاً وواجبات يجب الوفاء بها، منها:

نشر قيمة الأمن والاستقرار، فبالأمن ترتقي الأوطان
وتتقدم الأمم والمجتمعات ويستقر الناس في حياتهم
ومعاشهم، وهذا ما بينه القرآن الكريم حين امتن الله
(تعالى) على أهل سبأ بنعمة الأمن والاستقرار، فقال
سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا
قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا
ءَامِنِينَ﴾ [سورة سبأ، الآية ١٨]، فما تقدمت أمة من
الأمم، وما ارتقى مجتمع من المجتمعات إلا إذا ساد الأمن



وعم الاستقرار بين أفرادها، وأمن كل فرد فيه على نفسه وماله وعرضه، ومن ثمَّ يجب على كل مصري أصيل يجب بلده أن يسعى إلى الحفاظ عليه، وتحقيق أمنه واستقراره.

كذلك من حق مصر على أبنائها: إخماد الفتن التي يشعلها أعداؤها، فإشعالها يؤدي إلى زوال النعم، وحلول النقم، وقطع التواصل بين الشعوب والأمم، وانتشار الرذيلة وطرد الفضيلة، وبث روح العداوة والبغضاء، والقضاء على روح المودة والإخاء، فالفتن نار تأكل اليابس والأخضر، وتفرق بين المرء وأخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، موقظها ملعون، وناشرها مفتون، يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٩١]، ويقول سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَامًّا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٢٥].

إن النهوض بوطننا والسعي إلى رقيه إنما يكون بالجد والاجتهاد، والعمل والإنتاج، والحفاظ على ممتلكاته،



والتقيد بأخلاقه وقيمه، وأنظمته وقوانينه، حتى نرقى
بأنفسنا ونحافظ على أمننا واستقرارنا، فالمواطن الصالح
هو من يبني وطنه ويعمل على استقراره ويحافظ عليه،
ولا يسير خلف أصحاب الهوى والدعوات الهدامة الذين
يسعون في الأرض فسادًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي
الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٠٥].

وقد قال أحد الوطنيين الحكماء: إن كل شيء على هذه
الأرض يُشْرَى مرة واحدة إلا الأوطان، فإن كل جيل من
أجيال الأمة لا بد أن يؤدى ثمن وطنه، لا بد أن يضحي
ويستهدف للموت ليثبت حقه في أرضه، فإذا أهمل أمر هذا
الدفاع جيل من الأجيال ضاع الوطن.

مع تأكيدنا أن مصرنا الغالية ستظل مرفوعة الهامة عالية
القدر بحفظ الله لها، ولن ترقع إلا للواحد الأحد، غير أن
ذلك كله يحتاج منا جميعًا إلى جهد وعمل دءوب وفي هذا
نختم بقول الشاعر^(١):

(١) الأبيات المذكورة للأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف.



مصر الأبيّة لن تحني

ولن تُحني هامًا لغير العليّ

فهو الحفيظ وهو القدير

وهو العليم وهو الغني

ولن يستطيع العدا قهرنا

ولن نحني هامًا ولن ننثني

لكنّ هذا وذا بالعمل

وبذل الجهود بعزمٍ قويّ

* * *

حديث القرآن الكريم عن المواساة

إن المواساة من القيم الإسلامية النبيلة، والأخلاق الإنسانية الفاضلة التي يُعين بها الإنسان غيره على التغلب على أحزانه وآلامه، والمتأمل في كتاب الله ﷻ يجد أنه قد أولى قيمة المواساة عناية خاصة؛ بل إن الله سبحانه تولى بنفسه مواساة أنبيائه وأوليائه وأصفياه، فهذا سيد الخلق ﷺ حين آذاه قومه ولاقى منهم الصدود والإعراض واساه ربه ﷻ بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة الطور، الآية ٤٨]، أي: اصبر لقضاء ربك فيما حملك من رسالته، وفيما ابتلاك به من قومك، فإنك بأعيننا نراك ونحفظك، ونحوظك، ونحرسك.

وحين اشتد حزنه ﷺ على إعراض قومه عن الاستجابة لنداء الحق، واساه ربنا ﷻ بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخْنٌ نَّفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [سورة



الكهف، الآية ٦]، وبقوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمِ اللَّهِ تَفْسَاكَ
الَّذِي يُكُونُ مَلَكًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٣]، أي: لعلك
مُهْلِكٌ نَفْسَكَ حَزَنًا بِسَبَبِ تَوَلِّيهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ،
فهذه الآيات وأمثالها نزلت مواساةً وتطبيبًا لخاطر نبينا ﷺ.

كما وإسائه ربه سبحانه موجهًا إياه ألا يُحْمَلُ نَفْسَهُ فَوْقَ
طَاقَتِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾
[سورة الرعد، الآية ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ
بِمُصَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية، الآية ٢٢]، فلا تُكَلِّفْ نَفْسَكَ
تَكْلِيفًا شَاقًّا مُضْنِيًّا، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَالْبَيَانُ، أَمَا هِدَايَةُ
التَّوْفِيقِ فَمِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، حَيْثُ يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّكَ
لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٥٦].

كما أن المتأمل في القرآن الكريم يرى مواساة الله ﷻ
لأم موسى عليه السلام، حين أمرت أن تلقي ولدها في
اليم، فتفطر قلبها خوفًا عليه، فواساها الله ﷻ وطمان
فؤادها، حيث يقول ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ
أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي



وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
[سورة القصص، الآية ٧].

ثم واساها ﷺ حين ردّ ولدها عليه السلام إليها ردًّا
جميلًا، حيث يقول جل شأنه: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ
تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة القصص، الآية ١٣].

كما جاءت المواساة في القرآن الكريم للسيدة مريم ؑ،
حين اشتد عليها الأمر، فقالت: ﴿يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَٰذَا
وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٢٣]، فأمر
الله تعالى من يناديها ليطمئن قلبها، حيث يقول سبحانه:
﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا *
وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي
وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [سورة مريم، الآيات ٢٣، ٢٥].

إن صور المواساة كثيرة، منها: المواساة بالمال، والمواساة
بالنصيحة، والمواساة بالمشاركة الوجدانية، والمواساة
بالدعاء، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم مواساة الرجل
الصالح لسيدنا موسى عليه السلام حين خرج خائفًا من



قومه، وقصَّ عليه ما كان من أمر فرعون معه، فواساه
قائلاً: ﴿لَا تَخَفْ مَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة
القصص، الآية ٢٥]، كما ذكر لنا القرآن الكريم مواساة
الملائكة عليهم السلام لسيدنا لوط عليه السلام حين
خاف من قومه، قائلين له: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا
مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٣٣].

ولقد وجه نبينا ﷺ إلى التحلي بهذه القيمة النبيلة، حيث
يقول ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيَعُدِّ بِهِ عَلَى مَنْ لَا
ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدِّ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ
لَهُ»^(١)، ويقول ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَلْيَنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»^(٢)، ويقول ﷺ:
«لَا يَزَالُ اللَّهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ»^(٣).

وحين استقر نبينا ﷺ في المدينة المنورة، أتاه المهاجرون
فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبَدَلْ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ
مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَنَّةَ

(١) صحيح مسلم، كتاب اللَّقْطَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُوَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، حديث رقم: ١٧٢٨.

(٢) صحيح مسلم، كتابُ الْمَسَاقَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِنْطَارِ الْمُعْسِرِ، حديث رقم: ١٥٦٣.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ١١٨ / ٥، حديث رقم: ٤٨٠٢.



وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَاءِ، حَتَّى لَقَدَ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ هُمْ وَأَنْتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»^(١).

وقد أثنى ﷺ على الأشعرين لتحليلهم بهذه الفضيلة
حين قال: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ
عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ،
ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنْءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا
مِنْهُمْ»^(٢).

فما أحوجنا إلى أن نتحلَّى بخلق المواسة بيننا؛ حتى تشيع
روح الأخوة، وتقوى العلاقات في المجتمع، وتسود الألفة
والمحبة بينهم.



(١) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة
أواني الخوض، باب منه، حديث رقم: ٢٤٨٧.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض،
حديث رقم: ٢٤٨٦، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (رضي الله تعالى عنهم)،
باب من فضائل الأشعرين ﷺ، حديث رقم: ٢٥٠٠.

حديث القرآن الكريم عن الاعتبار

إن الاعتبار من أعظم صفات المؤمنين، وأخصّ مزايا المتقين، وأهل الاعتبار هم أصحاب النظر الثاقب والقلب الخاشع، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر، الآية ٢]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [سورة النازعات، الآية ٢٦]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق، الآية ٣٧].

والتأمل في القرآن الكريم يجد أن الحق سبحانه قد حثَّ على إعمال العقول بالاعتبار والتدبر والتأمل، وأولى ذلك عنايةً خاصة؛ بل جعله من أجلِّ العبادات، وأفضل الطاعات؛ حيث يقول سبحانه أمرًا بالنظر والاعتبار: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة يونس، الآية ١٠١]، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ



قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿ [سورة
الحج، الآية ٤٦].

ومما دعانا القرآن الكريم إلى الاعتبار به: تعاقب الليل والنهار، واختلاف أحواله، وتقلب أجوائه، ففي ذلك عظة لأصحاب البصائر النافذة، وعبرة لأهل العقول الواعية، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور، الآية ٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٦٢]، ويقول تعالى في الحديث القدسي: «بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»^(١)، والمراد بقوله تعالى: ﴿خِلْفَةً﴾ أي أن كلاً من الليل والنهار يخلف الآخر في نظام إلهي لا يتبدل ولا يتخلف، فمن الذي يضبط حركة كل منهما؟ إنه الله ولا أحد سواه.

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية، الآية ٢٤]، حديث رقم: ٤٨٢٦، وصحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، حديث رقم: ٢٢٤٦.



وفي المنافع التي أودعها الله في الأنعام لينتفع بها بنو
الإنسان عبرة لمن يعتبر، حيث بيّن القادر سبحانه في
كتابه أنه يسقينا من ضروع الأنعام لبنًا خالصًا نقيًّا لذيذًا
يطيب للشاربين، مع أنه يخرج من بين ما يحتويه البطن من
فضلات، وما في الجسم من دم، حيث يقول سبحانه:
﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ
بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [سورة
النحل، الآية ٦٦]، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ
لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٢١]، وفي ذلك دلالة
على قدرة الخالق سبحانه، وحكمته، ولطفه، ورحمته.

وحثنا القرآن الكريم على الاعتبار بقصص الأنبياء
وأخبارهم، وما اشتملت عليه من حكم وهدايات، ودروس
وعظات، يقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف، الآية ١١١]، وفي ذلك لفت
لأنظارنا بأخذ العظة والعبرة مما ورد في القرآن الكريم من



قصص الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، ولا شك أن القرآن العظيم حافل بالكثير من الآيات التي تدعو إلى الاعتبار بمصائر الأمم السابقة، والاتعاظ بما عوقبوا به بسبب مخالفتهم أمر ربهم، والسعيء من اعتبر بغيره، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿ [سورة طه، الآية ١٢٨]، ويقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ [سورة الروم، الآية ٩].

ويقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿ [سورة فصلت، الآية ١٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا



يَكْسِبُونَ ﴿ [سورة فصلت، الآية ١٧]، ويقول ﷺ عن قوم لوط وما نزل بهم من العذاب بسبب انحرافهم العقدي والسلوكي: ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، الآيتان ٣٤، ٣٥]، ويقول سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [سورة هود، الآيتان ٨٢ - ٨٣].

فما أحوجنا إلى الاعتبار والتفكير والتدبر؛ فإن ذلك مما يقوِّي الإيمان، ويوسِّع المدارك، ويجلب محبة الله ﷻ، والخوف منه، والرجاء في عفوه ورحمته.



حديث القرآن الكريم عن عمارة الكون

لقد عُني القرآن الكريم بعمارة الكون عناية فائقة، فقد خلق الله ﷻ الإنسان، وسَخَّرَ له الكون وما فيه؛ ليصلحه ويعمِّره، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٢ - ٣٣]، ويقول تعالى: ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحج، الآية ٦٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّنْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية، الآية ١٣]، ويقول سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ



أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿ [سورة طه، الآية ٥٣]. والمتأمل في القرآن الكريم يجده مفعماً بالآيات الدالة على أهمية عمارة الكون وإصلاحه، وتنميته، والنهي الشديد عن إفساده وتخريبه بأي صورة من الصور، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية ٦١]، أي: طلب منكم إعمارها وتنميتها، ويقول سبحانه: ﴿فَمَنْ أَمِنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٤٨]، ويقول ﷺ: ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٣٥]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٧٧]، ويقول ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤، ٢٠٥].

ومنهج القرآن الكريم في عمارة الكون منهج شامل لكل صور التنمية والإصلاح والإعمار، فمن ذلك أمره بالسعي في الأرض والمشى في مناكبها، واستخراج كنوزها



وثرواتها وما أودع الله ﷻ فيها من خيرات وأقوات، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [سورة الملك، الآية ١٥].

يقول الإمام ابن كثير: «يذكر الله نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليلها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تتمد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهياً فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، ولهذا يجب المشي والسفر في أقطارها، والتردد في أرجائها بحثاً وسعيًا في طلب الرزق»^(١).

وقد جاء الأمر بالسعي في الأرض طلباً لعماريتها بعد الأمر بأداء العبادات، حيث يقول سبحانه في شأن صلاة الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

(١) تفسير ابن كثير، ٨ / ١٩٩.



وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾
[سورة الجمعة، الآية ٩، ١٠]، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه
إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ أَنْصَرَفَ فَوْقَ عَلِيٍّ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَجِبْتُ دَعْوَتَكَ، وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَأَنْتَشَرْتُ
كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»^(١).

إن دعوة القرآن الكريم إلى عمارة الكون تتطلب بذل
الجهد في زراعة الأرض، حيث يقول الحق سبحانه في
معرض الامتنان على عباده: ﴿وَأَيُّ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ
أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا
فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ *
لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
[سورة يس، الآيات ٣٣-٣٥]، ويقول سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ
الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ
شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَسَا وَقَصَبًا * وَزَيَّنَّاهَا وَأَخْلَا * وَحَدَّاقًا
عُذْبًا * وَفَلَكْهَةً وَأَبَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٢٤﴾ [سورة عبس،
الآيات ٢٤-٣٢].

(١) تفسير ابن كثير، ٨/ ١٤٨.



وقد بين نبينا ﷺ فضل عمارة الكون بالزراعة، حيث يقول ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرِعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»^(١)، ويقول ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فِسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»^(٢)، كما تتطلب دعوة القرآن الكريم إلى عمارة الكون إتقان العمل صناعة، وحرفة، ومهنة، وتتطلب مراعاة القيم والأخلاق تجارةً، وبيعاً، وشراءً، واقتضاءً، وتكافلاً، وتراحماً.



(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، حديث رقم: ٢٣٢٠، وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، حديث رقم: ١٥٥٣.

(٢) الأدب المفرد للبخاري، باب اضطلاع المال، ص: ١٦٨.



فهرس الموضوعات

- ٥ تقديم.
- ٩ تمهيد.
- ١٣ حديث القرآن الكريم عن القيم الإيمانية والإنسانية.
- ٢١ حديث القرآن الكريم عن القيم الأخلاقية.
- ٣٣ حديث القرآن الكريم عن الصدق.
- ٣٩ حديث القرآن الكريم عن الحق.
- ٤٥ حديث القرآن الكريم عن الأيام والسنين.
- ٥١ حديث القرآن الكريم عن أهل الاستجابة.
- ٥٧ حديث القرآن الكريم عن الآيات الكونية.
- ٦٣ حديث القرآن الكريم عن السنن الكونية.
- ٦٩ حديث القرآن الكريم عن أهل الإيمان.



- ٧٥ حديث القرآن الكريم عن أهل الغفلة.
- ٨١ حديث القرآن الكريم عن ذوي الأرحام.
- ٨٧ حديث القرآن عن الفساد في الأرض.
- ٩٣ حديث القرآن الكريم عن أسماء يوم القيامة.
- ٩٩ حديث القرآن الكريم عن مصر.
- ١٠٩ حديث القرآن الكريم عن المواساة.
- ١١٥ حديث القرآن الكريم عن الاعتبار.
- ١٢١ حديث القرآن الكريم عن عمارة الكون.



منافذ بيع
الهيئة المصرية العامة للكتاب





- مكتبة المعارض الدائم
١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة
ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨
٢٥٧٧٥١٠٩ داخلي ١٩٤
- مكتبة المبتديان
١٣ ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة
مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز
- مكتبة الجزيرة
١ ش مراد - ميدان الجزيرة - الجزيرة
ت: ٣٥٧٢١٣١١
- مكتبة جامعة القاهرة
خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعي
بالجامعة - الجزيرة
مكتبة رادوييس
ش الهرم - محطة المساحة - الجزيرة
مبنى سينما رادوييس
ت: ٢٣٩٣٩٦١٢
- مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع محطة
المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجزيرة
مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت: ٢٥٧٤٠٠٧٥
- مكتبة ساقية عبد المنعم الصاوى
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبو الفدا - القاهرة
مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة
ت: ٢٥٩١٣٤٤٧



مكتبة المنيا (فرع الجامعة)
مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا
ميدان الساعة - عمارة سينما أمير
- طنطا
ت: ٠٤٠ / ٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقاً - المحلة

مكتبة دمنهور
ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور
مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع
دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة
٥ ش السكة الجديدة - المنصورة
ت: ٠٥٠ / ٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية
مكتبة طلعت سلامة للصحافة
والإعلام
ميدان التحرير - الزقازيق
ت: ٠٥٥ / ٢٣٦٢٢١٠
ت: ٠١٠٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبة الإسماعيلية
التملك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت: ٠٦٤ / ٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس
مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة
- الجامعة الجديدة - الإسماعيلية
ت: ٠٦٤ / ٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان
السوق السياحى - أسوان
ت: ٠٩٧ / ٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط
٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
ت: ٠٨٨ / ٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا
١٦ ش بن خصيب - المنيا
ت: ٠٨٦ / ٢٣٦٤٤٥٤



الهيئة المحترمة للثقافة والكتاب



المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

متابعة

فريال فؤاد

المراجعة اللغوية

د. حسن أحمد خليل

سيد عبد المنعم

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٢٣/١٧٩٣٧

ISBN 978-977-91-4306-4

